1. خواطر معماري وشاي في مراكش -02-

**على هامش مؤتمر السير والجولان في المدن بأغادير:**

خواطر معماري وشاي في مراكش
-2-

د. وليد أحمد السيد
الوطن العمانية, الأحد 4 ديسمبر 2011

مؤتمر السير والجولان

كان المؤتمر, والذي عقد في القاعة الرئيسة بفندق"رويال أطلس" بمدينة أغادير, قصد الرحلة وغايتها الرئيسة. وفي الحقيقة فقد كان المؤتمر بتنظيمه وبرنامجه ملتقى مهما قام على رعايته ودعم أهدافه العديد من المنظمات والأفراد والمعنيين بالتآلف بين المعهد العربي برئاسة الأستاذ عبد الله العلي رئيس مجلس الأمناء ورئيس المعهد وبين المجلس الجماعي لمدينة أغادير الدكتور طارق القباج, ومجلس جهة سوس ماسة درعة الدكتور إبراهيم حافيدي, والأستاذ محمد بوسعيد والي صاحب الجلالة لجهة سوس ماسة درعة, والأستاذ مولاي حفيظ الفاضل دوجا رئيس منظمة أركان سوس للتنمية والمحافظة على البيئة. كما شمل اهتماما خاصا من منظمة المدن العربية وشهد حضور الأستاذ يعقوب الماس رئيس لجنة الجائزة بالمنظمة,فضلا عن اللجنة العلمية التي كان الصديق الدكتور إسلام الغنيمي أحد أعضائها, وإدارة المعهد التي ضمت الأستاذ سلطان عبد الرحمن المفيريج, والأستاذ وداعة الله بن عبد الله حمراوي وجهودهم المشكورة في تنظيم والإعداد للمؤتمر ورعاية الضيوف ورتق ما جرى من بعض القصور من بعض الجهات بما يحسب لهم وثناء يستحقونه لإنجاح المؤتمر.كذلك فقد كان اختيار مدينة أغادير لتحتضن المؤتمر بروعة إطلالتها الساحلية وتعدد تضاريسها بين السهل والجبل والشاطئ عاملا موفقا أيضا في تشجيع أهداف المؤتمر, فكان من اللافت وعلى هامش المؤتمر أن يسير ضيوف المؤتمر على شاطئ المدينة المتميز ليلا حيث الفعاليات التجارية الترفيهية والممتدة بتعرج يحاكي تضاريس التقاء البحر باليابسة.
\*\*\*\*
الكثير من المؤتمرات والندوات النظرية تبقى حبيسة القاعات ولا يعلو لها صوت أو أثر بعد إنتهائها, وكثير من هذه المؤتمرات الأكاديمية والنظرية تذوي وتصبح أثرا بعد عين قبيل انتهائها أو تكاد,لكن هناك نقطتان مهمتان تستحقان التأمل في انعقاد هذا المؤتمر: الأولى – أن المعهد العربي لإنماء المدن دأب على تنظيم مثل هذه المؤتمرات بشراكة محلية ودعم إعلامي محلي لتوعية المجتمع بأهداف وفوائد الأبحاث التي يرجو من خلالها نشر ثقافة تستمر أبعد من حدود القاعات النظرية. ولذلك فقد كان من اللافت جدا حضور أفراد من الجسم الصحافي المغربي وحتى طلاب الصحافة والإعلام في قاعات المؤتمر, ومنهم من امتدت مشاركته للفعاليات الميدانية وعقدت صداقات تجاوزت الزمن المحدود لوقت المؤتمر,وشكل بعض هؤلاء الصحفيين أدلّاء سياحيين ومرشدين للوفود المشاركة بالمؤتمر, فضلا عن اندماجهم مع الضيوف المشاركين وتفاعلهم بشكل إيجابي. بالنسبة لي شخصيا كان بعضهم عاملا مساعدا في "استرجاع" الأمتعة المفقودة, على دفعات, لعائلتي أولا بعد يوم ثم لي لاحقا بعد أيام. من المفارقات الطريفة أن الروايات تضاربت حول الوجهة التي "ضلت" حقيبتي المفقودة إليها: ففي رواية أنها ضلت طريقها من لندن لأغادير لتذهب بدلا من ذلك شططا إلى "غانا", وفي رواية أخرى, غير موثوق في صحتها, إذ يعتقد أن في سندها من الرواة بعض "المدلسين", وذلك اعتمادا على علم "حزم أمتعة وبضائع الزوار وهم يتقلّون في المطارات وصالات الأنتظار", أنها تجولت بعيدا حتى مدينة "أجرا" بالهند حيث يقبع"تاج محل" الشهير – مع تباعد الألفاظ بين مدن "أغادير"و" أجرا" و"غانا"! ولكن ليس هناك شيء مستبعد, ففي زمن العولمة هذا, الذي قرب المسافات الجغرافية وباعد بين المسافر وحقيبته, قد يتوجه المسافر وجهة معينة وتتجه حقيبته وجهة مغايرة حول هذا العالم الصغير لخطأ صغير يقترفه عامل في المطار بقراءة مغلوطة للكلمات الأنجليزية, قبل أن يتم اللقاء الحميم بعد أيام بين المسافر وأمتعته, لقاء شوق وعناق بعد لوعة وحرمان وفراق. وهذه اللقيا والشوق تقف أمامها الكلمات متعثرة مرتبكة ومتلعثمة كتلعثم الأعرابي الذي فرت دابته في أديم الصحراء, كما ورد في الحديث النبوي الشريف, ففرح بلقياها وانطلق لسانه حامدا شاكرا متلعثما فأخطأ الثناء من شدة فرحه, الذي لا يضاهي فرح ربه بتوبة عبده, فقال مرتبكا (اللهم انت عبدي وأنا ربك). في مثل هذه الحالات تضيع الكلمات بين يدي حرارة اللقاء, ويحار الفكر في سبب هذا الفراق الأليم والمصاب الجلل الذي حال بين مسافر وأمتعته لأيام عصيبات, وليالي كالحات. وقد حدث أن تعاطف الرفاق خلال المؤتمر وانطلقت التفسيرات والعبارات, وراح أحدهم يستحضر مواسيا قولا مأثورا (لا تستغرب فأنت في المغرب!) رغم أن الخطأ في شحن الأمتعة حصل في مطار هيثرو وليس لمطار المغرب أي ذنب أو جريرة في هذه المسألة.
النقطة الأخرى التي تستحق التأمل هي دأب المعهد العربي لإنماء المدن على عقد مؤتمرات دورية سنوية في مدن مختلفة على امتداد الوطن العربي الكبير (المؤتمر القادم سيعقد في القاهرة مع مطلع الربيع القادم, وموضوعه: تخطيط وإدارة النمو العمراني وضغوط الإستثمار في المدن العربية الكبرى). أهمية هذا التواصل السنوي والتغيير الجغرافي مهمة في تناقل المعرفة على المستويات الأكاديمية وبالتعاون مع المؤسسات والجامعات والمرافق الحكومية في العديد من الدول والمدن ذات الأهمية التاريخية والإستراتيجية من ناحية جغرافية. من الناحية الأكاديمية فقد شارك في مؤتمر أغادير أساتذة من مختلف جامعات الوطن العربي شرقا وغربا وكان المؤتمر دوليا بهذا المضمون. فبالإضافة للمسؤولين من المغرب الذين رعوا افتتاح ووقائع المؤتمر, جاءت مشاركات متعددة ومهمة للضيوف تنوعت حسب موضوعات المؤتمر منها: أولا (النشاط البدني) قدم الأستاذ الدكتور نوبي حسن من جامعة الملك سعود بالرياض ورقة في "المنظور الإسلامي لتعزيز النشاط البدني", كما جاءت ورقة الدكتور بشلاغم يحيى من جامعة تلمسان بالجزائر حول دراسة ميدانية على طلبة لرصد واقع ثقافة المشي والجولان في المجتمع. وفي إطار تنظيم البيئة المبنية وأثرها على تحفيز ثقافة السير والرياضة في المدن, قدم الدكتور أحمد سليمان من جامعة الزعيم الأزهري بالخرطوم دراسة حول التأثيث الحضري للشوارع في المدن العربية. ومن المملكة العربية السعودية جاءت مساهمة الدكتور محمد الحماد مستشار البلديات والبيئة حول "إنسانية المدينة: نحو إنسان في مدينة صحية وبيئة طبيعية". وكانت هناك ورقة مقدمة من الدكتور مصطفى خليل الزبيدي المحاضر بالمعهد العالي للتخطيط الحضري والإقليمي بجامعة بغداد حول أثر المسطحات الخضراء في زيادة الكفاءة البيئية الوظيفية للمدن مع دراسة خاصة على مدينة بغداد.
في الجلسة الثانية حول (التخطيط وتصميم البيئة السكنية) قدمت مجموعة أوراق منها: ورقة الدكتور محمد المدحجي من جامعة صنعاء حول "معايير التخطيط العمراني وتطبيقاتها في البيئة السكنية ودورها في تعزيز الأنشطة الصحية". كما قدمت الدكتورة نجاة زروق من وزارة الداخلية المغربية ورقة نحو إحداث قطب للكفايات حول مهن البيئة على مستوى مديرية تكوين الأطر الإدارية والتقنية. وقدم الدكتور صالح الأنصاري, وهو أستاذ في طب الأسرة والمجتمع من المملكة العربية السعودية ورقة حول "التخطيط الحديث للمدن وأثرة على صحة سكان البيئات الحضرية: المشي وخصوصيته".
وحول دور الأجهزة المحلية في توفير أماكن ومعينات البيئة الصحية" قدم الأستاذ بلمودن مصطفى عضو مجلس إدارة منظمة أركان سوس ورقة حول وضعية المناطق الخضراء بأغادير. وقدمت الدكتورة داليا الدرديري من كلية العمارة بجامعة الدمام بالسعودية ورقة حول التجربة الإنسانية في المدينة العربية حالة مدينة الخبر". كما قدم الدكتور علي العريشي من جامعة جازان بالسعودية ورقة نحو تخطيط حضري للإستخدامات الترفيهية من واقع مشكلات استخدام الأرض في المدن الصغيرة بالسعودية وتطرق لمدينة صامتة كحالة دراسية.
أما في مجال عمارة البيئة وتقنيات الإرتقاء بصحة البيئة, فقدم الدكتور عادل عبد الرزاق من اليمن ورقة حول دور التخطيط البيئي في تعزيز النشاط البدني لسكان المدن. وقدم الدكتور فراج الفزاري الخبير بمؤسسة جائزة منظمة المدن العربية بقطر ورقة حول "البيئة والنشاط البدني". وحول "المدينة في عصر العولمة: تحديات بيئية غير مسبوقة والعلاقة السلبية على صحة ورفاه الإنسان" قدم كاتب هذه السطور ورقة تناولت أهم المتغيرات التي تشهدها المدينة العربية من تغول وسائل الإعلام المعولم وتنامي ظواهر مستحدثة انعكست بشكل كبير على طبيعة الحياة والمعيشة التي يقودها سكان المدن وتؤثر سلبا في الصحة العامة مع التطرق لمعالجات وحلول. وفي الجلسة الخامسة حول "حماية البيئة" تطرق الدكتور جلال حلواني من بلدية طرابلس بلبنان لأهمية تعزيز الموارد لتحسين البيئة بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية. كما قدم الأستاذ خالد شمبول من السودان ورقة في أهمية تطوير قوانين حماية البيئة وأعمال النظافة وحماية الواجهات المائية بالخرطوم وأثر ذلك في النشاط السكاني للعاصمة. وقدم الدكتور إبراهيم بن مبارك الدجين, وكيل أمانة منطقة الرياض عرضا مهما للجهود التي تبذلها الأمانة والهيئة العليا لتطوير الرياض في مجال تعزيز البعد الإنساني لمدينة الرياض والجهود في مجال خلق متنفسات خضراء ومتنزهات مع دراسات تقييمية بعد الإنشاء بما يحقق متطلبات وخصوصية المجتمع السعودي وتحفيز مظاهر المشي والرياضة البدنية والتفاعل الأسري مع المناطق الخضراء والعامة. كما قدم الدكتور عمر بن سالم باهمام من جامعة الملك سعود دراسة لمستوى عامل الأمان للأطفال من المركبات في الأحياء السكنية في مدينة الرياض. وختمت الجلسة بدراسة مقدمة من الأستاذ ديان عبد الرحيم من أغادير بأهمية المحافظة على البيئة في من خلال القطاع المهني. وجاءت جلسة التوصيات لتعبر عن نتائج المؤتمر وختمت بأوراق للأستاذ محمد الحلايسي من أغادير, والدكتور سليمان المهنا من جامعة دمشق حول تجربة ترميم الأسواق التقليدية في دمشق, ودراسة الأستاذة سعودي هجيرة من جامعة المسيلة بالجزائر والمهندس بدر الحمدان من الرياض حول دور الأجهزة المحلية في تحفيز عمارة البيئة.
\*\*\*\*
هذا المؤتمر جاء معبرا عن أهمية وخطورة التحولات التي باتت تهدد الإنسان نتيجة التوسع العمراني داخل المدن والنمو الديموغرافي وتقلص المساحات المزروعة نتيجة لتغير عادات وسلوكيات الإنسان المعيشية والتي أصبحت لها انعكاسات خطيرة يتقاسمها الجميع. ولهذا يلزم العمل على إيجاد حلول موضوعية وقانونية للمحافظة على البيئة وصحة الإنسان وضمان استمراريته للأجيال القادمة في ظروف أحسن. وقد سلط المؤتمر الضوء على مشكلات ابتعاد الإنسان عن النشاط البدني والاعتماد على السيارة ومخرجات التقنية التي تساعد على عدم الحركة وأثر التخطيط وتصميم البيئة السكنية في المدن. كما أبرز أهمية مشاريع المحافظة على البيئة وحمايتها والقيادة الإدارية الرشيدة لاستدامتها. ومن الأهداف التي حققها بشكل خاص كانت تبادل الخبرات والتعرف على مشروعات النشاط البدني ودور التخطيط في تنفيذها إلى جانب مشاريع المحافظة على البيئة وإدارتها، والتأكيد على أهمية النشاط البدني وفوائده وإيضاح دور التخطيط وتصميم البيئة السكنية في المدن .والتأكيد على أهمية المحافظة على البيئة وحمايتها, واستعراض دور الأجهزة المحلية والبلديات والقطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدني في تأمين مشروعات البيئة الصحية والمحافظة على البيئة وحمايتها, والتأكيد على أهمية دور الإعلام والمؤسسات التعليمية في نشر ثقافة الوعي الصحي والبيئي, بالإضافة إلى التعرف على التجارب المحلية والإقليمية والدولية في إيجاد البيئات الصحية ومشروعات المحافظة على البيئة وحمايتها. وجاءت الطروحات والشراكة المحلية والإقليمية معبرة عن الجدية في تناول هذا الموضوع كعنوان أساسي للمؤتمر. وبانتهاء جلسات المؤتمر لم تنته الجولة في المغرب بل امتدت لمدينة مراكش, وللحديث بقية
\*\*\*